البنـــاء
السنة السابعة / الاثنين / 7 أيلول 2015 / العدد 1877
Seventh year / Monday / 7 September 2015 / Issue No. 1877

دمشق تتحدّى بالأدب القذائف والإرهاب لتعلن استمرارية الحياة!

جانب من الحضور

رانيا مشوّح

تصرّ دمشق على أن تبثّ في عوالم عشّاقها عبق الشعر والأدب على رغم محاولة الإرهاب استبدال عبق الياسمين المعربش على ذاكرة الدمشقيين، برائحة البارود والقتل العبثيّ. تتحدى دمشق قذائف الهاون بالشعر، وتمضي في نشاطها الثقافي.

«البناء» رصدت أمسية أدبية في المركز الثقافي العربي في المزّة، إذ قدّمت الأديبة رزان عويرة مجموعة من القصص القصيرة، فيما داعبت الشاعرة سحر أحمد الحارة مشاعر الحاضرين بمجموعة من القصائد من وحي الواقع.

وعن دور المثقفين في ظل الاستهداف الإرهابي الممنهج للعقول قالت الحارة: بعيداً عن «الهوكيين» (المرتزقة)، فإن حتمية مستقبل النصّ الأدبي كما قال الشاعر والمفكّر العربي أحمد أسعد الحارة، أن الكلمة والقصيدة طريق العودة إلى الأمام. الثقافة لا ماضي لها ولا حاضر، ولا مستقبل يمكن أن يجزّئ بينها. فهي سلسلة متواصلة من جهة، وهي انعكاس لحضارات الشعوب وانصهارها في العصر. ولعل ما حصل لبعض الإعلاميين والمثقفين في هذه الأزمة الراهنة وما سبقها من أزمات، من خطف وقتل وتعذيب، يبيّن لنا أهمية الدور الذي كانوا يقومون به وأهمية الدور الذي يتابع المثقفون الآن مسيرته.

وعن إقامة الاحتفالات والأمسيات الأدبية في دمشق على رغم الظروف الراهنة، والتحدي الكبير الذي تواجهه قالت عويرة: على رغم هذه الظروف، ثمة حلم وأمل يجب أن نحيا بهما. وعلى كلّ شخص سوري مسؤولية كبيرة للنجاح والإبداع كلّ في مجاله، لنخرج من هذا الجوّ الأسود إلى بياض نرسمه للغد لنصنع مستقبلاً جميلاً جداً لسورية وشعبها الأبيّ.

أما عن الدور الذي تحمله الكلمة من أجل التصدّي للإرهاب الفكري، فقالت الحارة: لا يزال الكلمة دورها الحيوي في التصدّي لأيّ حركة مضادّة. فكيف بالنسبة إلى الإرهاب؟ لأن الكلمة ذات رسالة، وبها نستطيع أن نخلص الدين السماوي أيّا كان، من الدين الضرّار، ونستطيع أن نخلص العروبة من أعرابها الخونة الذين يسعون جاهدين إلى إبادة سائر الطوائف والأطياف وتهجيرها، بحيث لا يبقى إلا الصهيونية والمتصهينون هنا وهنالك. إنّ هذه الأزمة أظهرت أن أخطر مظهر من مظاهر الإرهاب، إرهاب الكلمة واعتقال الفكر ومنع حرية الرأي، وسرقة العقول، لذلك من البديهي أن نقاوم إرهاب الكلمة لحضارة الكلمة وثقافة الكلمة وإنسانية الكلمة. فالإرهاب الفكري الذي يمارسونه سواء كان تكفيراً أو إقصاءً أو إلغاءً للطرف الآخر، لا يكفي أن يجابَه بالسلاح والبندقية، ولا بدّ أن تشترك الكلمة في هذه المجابهة لأن الأزمة (الحرب الآن) هي أزمة وعي.

وفي السياق ذاته، قالت عويرة: أعتقد أن الحرب نفسها تعطي فرصةً للأدباء والمثقفين، وتمنحهم خبرة أكبر، وتمنح أعمالهم الأدبية الرسوخ بسبب الخبرات التي سيكتسبونها. وهذا ما يسمّى بالألم العبقري الذي يولد أدباء أقوياء، فمن رحم الألم سيخرج أدب مؤثر ومبدع.

سحر أحمد الحارة

وعن ظروف العمل الثقافي قال محمد وسوف رئيس المركز الثقافي العربي في المزّة: النشاطات تعبّر عن استمرار الحياة في سورية. وتمثّل دليلاً على أنّ الإنسان السوري ما زال صامداً ومقاوماً. وهناك أشخاص ما زالوا يعبّرون عن استمرارية الحياة كالأدباء والشعراء والمثقفين في ظل هذا المحيط الدامي والموت و الدمار.

وأضاف: دورنا كمثقفين توطيد الأمل في الحياة وإعادة بناء الإنسان وإثبات وجودية المواطن السوري الحيّ من الداخل مهما جرى. كما أن المثقّف هو من دعائم الحياة حتى في أسوأ الظروف.

وعن الاستهداف المرهق للثقافة والمثقفين عن طريق اغتيال العقول المفكّرة قال وسوف: دور القلم كدور البندقية في المواجهة. ومؤخراً، لاحظنا ما حصل للدكتور خالد الأسعد الباقي كآثار تدمر. لذلك من يهدم التاريخ يخشى المثقف والمفكّر لكي يكمل ممارساته في اغتيال تاريخ سورية وحضارتها، والمنطقة كلها في حرب تهدف إلى إبادة الإنسان والمجتمع والتاريخ والحضارة وكل ما هو جميل، لكن رسالتنا الموجهة إلى العالم مفادها أننا سنبقى وسنبني وسنعود.

وعن نشاطها الثقافي قالت الحارة: أستعدّ لطبع ديوان وكتاب عن الأدب قريباً، وعلى رغم صعوبة الواقع، أنا مستمرة بالمشاركة في المشهد الأدبي. هذه المشاركة التي تعود لسنوات بين منتدى الإبداع في حمص، ومهرجانات أدبية في اللاذقية ودمشق. وكانت لي مشاركات عدّة في الدوريات الأدبية منذ التسعينات عبر الصحف: «العروبة» و«الثورة» و«الثقافة الأسبوعية» و«الوحدة» و«الحياة» و«البناء».

بدورها، تحدثت عويرة عن بداياتها قائلة: بدأت كهاوية وكتبت يومياتي في قصص خاصة وبتشجيع من الأدباء وبعض أعضاء اتحاد الكتّاب العرب الذين لمسوا موهبتي الأدبية. شاركت عام 2005 في مسابقة فرع دمشق للأدباء العرب وكانت المفاجئة بحصولي على المركز الخامس. و شاركت في مسابقات ربيع الأدب التابعة لوزارة الثقافة، وذلك عامَي 2006 و2007، و حصلت على الجائزة الأولى عام 2006 على مستوى سورية، وعلى جائزة أفضل مشاركة عام 2007. أما الآن، فأنا بصدد إصدار مجموعتي القصصية الأولى.

«سياسة التحالفات السوريّة»... قراءة في تاريخ سورية المعاصر

المتحدّثون في الندوة

لورا محمود

يُقال عنه إنّه رجل السياسة الأول في سورية. فقد أكسب سورية نصف الحرب في ظلّ ما تمرّ به من حرب كونية. خَبر السياسة ودهاليزها، كشف الكثير من خفاياها، ليقول إنّ ما تشهده سورية حالياً حصيلة محاولات عمرها عشرات السنين، من قِبل أطراف عربية وإقليمية وغربية أرادت التحكم في القرار السوري، لما تلعبه سورية من دور هامّ وأساس في كل ملفات المنطقة.

الدكتور بشار الجعفري، الحاضر على ألسنة السوريين، يحضر في المركز الثقافي العربي في أبو رمانة ـ دمشق، في قراءة لكتابه الجديد «سياسة التحالفات السوريّة»، من خلال المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمد سعيد الحلبي الذي تطرّق إلى أبرز ما تضمّنه الكتاب، الذي هو معايرة العمل السياسي السوري في مضمار الأحلاف والتحالفات التي تنتقل من الصلابة إلى المرونة وبالعكس، ومن الواقعية إلى المثالية والعكس، ومن التطرّف إلى الحوار وبالعكس، كلّ ذلك بقصد الدفاع عن الثوابت الأساسية والوطنية.

وأضاف الحلبي أن التحديد الضيّق للسياسة السورية يبقى ناقصاً ومجتزأً لأنه قاصرٌ عن وعي بكافة أبعاد العمل السوري باتجاهاته المتعدّدة. فهو متشدّد عندما يتعلق الأمر بالشأن الاستراتيجي، ومرن عندما يتعلق الأمر بالشأن التكتيكي. وأضاف: لقد عمد الدكتور الجعفري إلى استقصاء معلوماته من مراجع شتّى عربية وغربية ووكالات أنباء ومقالات صحافية، فضلاً عن حواراته الشخصية ليقدّم كتابه الجديد في كل شيء. موغلاً بالواقعية والموضوعية. فقد قدّم موضوعه وفق مخطط ومنهجية علمية مستخدماً المصطلحات والمفاهيم السياسية استخداماً دقيقاً وعلمياً، ما وفّر الشروط اللازمة لإصدار بحث علميّ أكاديميّ معتمداً لدى أعرق الجامعات ومراكز البحث العلمي.

وعرض الحلبي أقسام الكتاب وفصوله. فبعد التمهيد واللمحة التاريخية قام الجعفري بتقسيم الكتاب إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: نقل مقوّمات المجتمع السوري في تقرير السياسة السورية. وتناول فيه المؤثرات الداخلية من نشاطات وأحزاب سياسية. إضافة إلى المؤثرات الخارجية من المدّ الاستعماري الحيادي الايجابي (التمزّق بين الشرق والغرب). والقسم الثاني: التطبيق العملي لسياسة التحالفات السورية. وتناول فيه التحالف المتكافئ والاتحاد (سورية والعراق) والتحالف المتكافئ والانصهار (سورية ومصر) والتحالف غير المتكافئ (سورية والاتحاد السوفياتي). مشيراً إلى العلاقة السورية ـ الروسية. وقد أظهر الجعفري مميزات سياسة التحالفات السورية على الصعيدين العربي والخارجي.

أما عضو القيادة القطرية السابق لحزب البعث العربي الاشتراكي الدكتورة شهناز فاكوش، فتحدّثت في قراءة لمدير المركز الثقافي العربي الدكتور سهيل الملاذي في كتاب الجعفري قائلة: تطرّق كتاب الدكتور الجعفري إلى السياسة السورية في الأمم المتحدة، والتي كان لها مؤثرات كثيرة. فقد وضعت معالم السياسة العربية في الأمم المتحدة بصلابة ما تطرح وبقوة ما تضع من عناوين ومواد توضع على جدول أعمال الأمم المتحدة في الدفاع عن القضية العربية الأولى والأهم، وهي قضية فلسطين التي لن نتخلى عنها وهي بوصلة قضايانا الوطنية.

وأضافت فاكوش إن صناعة التاريخ تأتي حفاظاً على قاعدة الأديان والمجتمعات والحضارات المتعاقبة. فالحضارات التي تُستهدَف اليوم من أجل محوها، لا يمكن أن تمحى لأنها الأساس الحاضر في أذهان العالم كله. ولا يمكن أن تمحى لأنها محفوظة في الصدور قبل أن تكون معالم وأوابد على الأرض.

وأشارت فاكوش إلى أننا اليوم في شقاق مع دول كثيرة، ونحتاج أن نجلس على طاولة مفاوضات. فالأبواب ستبقى موارية من أجل حقن الدم في هذا الوطن والخروج من هذه الأزمة التي أصبحت معركة حقيقية ومعركة وجود أو لا وجود.

وأضافت أن الدكتور الجعفري تحدّث عن مرونة التكتيك واستراتيجية التشدّد وحقيقة أن السوريين يتصفون بالتشدّد في بعض القضايا التي لا مساومة عليها، وهي ثوابتهم الوطنية التي رسّخها يوماً الرئيس الرحل حافظ الأسد. وإن كان تاريخنا قبل حزب البعث العربي الاشتراكي قد شهد مفاصل قوية كثيرة التي دعمت وجود سورية وجعلتها رقماً صعباً في هذا العالم.

وقالت فاكوش إن كتاب الجعفري أشار إلى أن اكبر تحطيم للأمة كان احتلال «إسرائيل» لفلسطين وتهجير أهلها. لذلك لا نريد أن تتكرر هذه الظاهرة معنا وتهجير أبنائنا عن بلدهم الأمّ سورية.

بدوره، لفت الدكتور رايق الشعلان إلى أن الجعفري ذكر في كتابه أنه منذ ثمانينات القرن الماضي، سعى الغرب الاستعماري للهيمنة على سورية. وهو ما دفع سورية للتوجه نحو الاتحاد السوفياتي لحماية أمنها واستقلالها. فَفَهْمنا العلاقة السورية ـ الروسية يساعدنا في فهم موقف روسيا من الدولة السورية في أزمتها الراهنة. هذه الأزمة الدامية في جوهرها هي امتداد لمحاولات الغرب الاستعماري للهيمنة على الشرق الأوسط بشكل عام، وعلى قلبه سورية بشكل خاص.

وأضاف: ذكر الدكتور الجعفري أن العلاقات السورية ـ الأميركية تحسّنت في مرحلة تاريخية معينة نظراً إلى التطوّرات التي كانت تشهدها المنطقة آنذاك، ونظراً إلى إدراك سورية مدى الثقل الذي تحوز عليه الدبلوماسية الأميركية على مستوى العالم بشكل عام، والشرق الأوسط بشكل خاص. لذلك، تابعت دمشق استقبال الموفدين الأميركيين مع المحافظة على مبدئية موقفها المعارض أيّ تسوية جزئية أو أيّ سلام منفصل. وبمعنى آخر، لا تمانع دمشق الوساطة الأميركية في حلّ الصراع العربي ـ «الإسرائيلي»، على أن يكون متوازناً كي لا يأتي الحلّ هشاً. وبانتظار حدوث تطوّر في الموقف الأميركي واصلت دمشق حفاظها على علاقتها الوثيقة مع حليفها الاستراتيجي والكبير وهو الاتحاد السوفياتي بغية منع الاستقطاب الأحادي في شؤون المنطقة.

تجدر الإشارة إلى أن الكتاب عبارة عن أطروحة دكتوراه في العلاقات السياسية الدولية التي حصل عليها الدكتور الجعفري من جامعة السوربون في باريس عام 1989. وقام على مدار السنوات الماضية بمراجعتها وإغنائها وتنقيحها مستنداً إلى بعض المراجع المهمّة التي ظهرت خلال العقدين الأخيرين، وبما يتلاءم مع روحية البحث العلمي وتثبيت حقائق سياسية ذات صلة مباشرة بالتطورات والتحديات التي واجهتها المنطقة، وسورية بشكل خاص منذ عام 1989 وحتى أيامنا هذه.

الدكتور بشار الجعفري هو مندوب الجمهورية العربية السورية الدائم لدى الأمم المتحدة في نيويورك، حاصل على إجازة في الأدب الفرنسي ودبلوم دراسات عليا في الترجمة والتعريب من جامعة دمشق عام 1978، وماجستير في العلاقات السياسية الدولية من المعهد الدولي للإدارة العامة في باريس عام 1982، وماجستير في إدارة المنظمات الدولية من جامعة سو في باريس عام 1982، ودكتوراه في العلوم السياسية من الجامعة نفسها عام 1984، ودكتوراه دولة في العلوم السياسية من جامعة السوربون في باريس عام 1989، ودكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية في جنوب شرق آسيا من جامعة شريف هداية الله في إندونيسيا عام 2002، وله عددٌ من المؤلفات وهي: «الجماعات المصلحية الضاغطة في الولايات المتحدة الأميركية» عام 1983. و«السياسة الخارجية السورية من عام 1946 إلى عام 1982» عام 1986. و«الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد» عام 1994. و«أولياء الشرق البعيد» عام 2003.

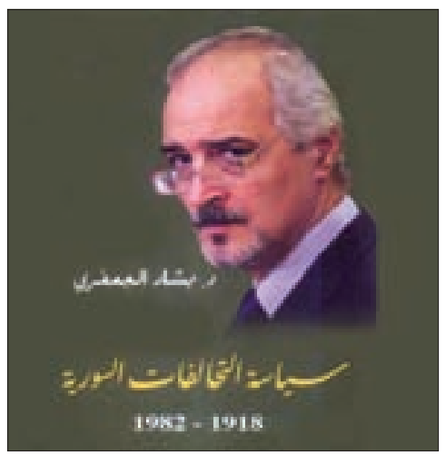

«عندليب لبنان»... عمل درامي يجمع الرومنسية والكوميديا

سلامة لـ«البناء»: مواقف طريفة وشيّقة جدّاً سيعيشها الجمهور

آمنة ملحم

يبدو أن الرومنسية التي فُقدت في زمن اثقلت أرواح الناس مواجع الحرب، وغطت رائحة البارود سماء بلادهم، صارت موضوعاً مغرياً للقنوات التلفزيونية العربية كوجبة درامية أبطالها نجوم من مختلف الدول العربية، اختاروا الحبّ دربا لرسائلهم الفنية. في وقت اتجه عدد كبير من صنّاع الدراما السورية نحو الأزمة التي أرهقت بلادهم، في محاولة لتوثيق بعضاً من مجرياتها على الأرض. وربما بثّ رسائل توعوية قد يفلح في لفت أنظار أبناء بلدهم إلى أن عبير المحبة قد يُصلح ما أفسدته يد الفتنة التي غرست مخالبها في قلوب الكثيرين.

ها هي الأعمال الدرامية للموسم الجديد بدأت ترسم خريطتها بعد سلسلة تحضيرات أعلن عنها صنّاعها ليسجّلوا بصماتهم بأعمال موزّعة بين الاجتماعي والكوميدي والبيئة الشامية وأعمال الأزمة. وكما جرت العادة في السنوات الأخيرة، فقد بدأت التحضيرات لأعمال عربية مشتركة، يغلب عليها طابع الحبّ والرومنسية.

فقد كشفت مصادر خاصة لـ«البناء» عن عزم شركة «Goldek five» للإنتاج الفني في بيروت، إنتاج عمل رومنسيّ سوري ـ لبناني مشترك.

وعلمت «البناء» أن الشركة أوكلت مهمة كتابة نصّ العمل للكاتب أحمد سلامة الذي لفت بدروه إلى أن «حدوتة» العمل تدور حول قصّة رومنسية بين عاشقين تعرّفا إلى بعضهما عن طريق موقع التواصل الاجتماعي «فايسبوك»، وتحوّلت العلاقة بينهما إلى قصة عشق بعدما تواصلا عبر الهاتف الجوّال.

أحمد سلامة

الحبيبان، ومع تبادل أرقام الهاتف، تصبح المراسلات بينهما عن طريق «واتس آب»، ما يزيد تقرّبهما، فيتعلقان ببعضهما أكثر فأكثر حتى تبرعم بينهما قصة حبّ كبيرة، ولكن واحدهما لا يرى الآخر على أرض الواقع.

قصة مشوّقة جداً وطريفة تعكس تعلّق الشاب بحبيبة قلبه التي لا يستطيع مشاهدتها، وهي أيضاً.

وأشار سلامة إلى أنّ المُشاهِد سيعيش مع المسلسل أغرب قصة حبّ بين اثنين، إن سارا في الطريق، فلن يعرف أحدهما الآخر.

العمل وفق كلام سلامة يلفت النظر بدرجة كبيرة إلى العلاقات التي كثرت وتشعّبت بين الرجل والمرأة في عالم الإنترنت الافتراضي، وقصص الحبّ الإلكترونية.

أحداث العمل ستتضمّن عدة مواقف طريفة وشيّقة، لا سيما بعد مشاهدة الشاب للفتاة. وبعد المفاجآت الكبيرة التي ستحصل. والمسلسل يصبّ في إطار الرومنسية والكوميديا خفيفة الظلّ.

العمل يحمل اسم «عندليب لبنان»، في التفاتة إلى بطل العمل الذي يملك صوتاً مشابهاً لصوت عبد الحليم حافظ. وهنا سيعيش المشاهد مع مفاجأة طريفة في المسلسل الذي سيمتد على مدار ثلاثين حلقة تلفزيونية.

ويعد الكاتب سلامة جمهور العمل بكوميديا وأحداث طريفة جدّاً، مع أبطال من سورية ولبنان سيعيشون الرومنسية والحبّ، وبخفّة ظلهم سيدخلون بيوت المشاهدين.

من هنا، يقف العمل وصنّاعه أمام تحدّ كبير بطَرْقهم عالم الكوميديا الذي تراجع في السنوات الأخيرة لمصلحة أعمال اللوحات الكوميدية التي صار لها الرصيد الأكبر من المتابعين، بعد محاولات عدّة أخفق صناعها في صنع أعمال كوميدية متكاملة، لا سيما تلك التي طرقت باب عالم النساء فتحوّلت مع الوقت إلى أعمال استعراض للأزياء ومفاتن البطلات. ويبقى العرض الذي لا يزال في مراحله الأولى بين يديّ السيناريست، الحكم الأكبر على ما ستطهو أيدي خبّازيه!

ساحة فيروز في بيروت

علي شاكر*

لعلّ التحدّي الأبرز الذي يواجه كلّ من يريد الخوض في موضوع كهذا، يتمثّل بكمّ الكليشيات التي عليه أن يحاذر من الوقوع في فخها... بين ألقاب السيدة المتعدّدة، والأوسمة الكثيرة التي منحت لها، وجدلية مفهوم التكريم في بلد كلبنان تحولت مهرجانات توزيع الجوائز فيه وسجّاداتها الحمراء الممتدة أبداً إلى مشهد مملّ وتجارة تدرّ آلاف الدولارات على منظمّيها الذين صاروا يستوردون الممثلين والمطربين، لا بل الدبلوماسيين ورجال الأعمال من فرنسا وتركيا ومصر والخليج بعدما استنزفوا أسماء المُكرّمين اللبنانيين، بين هذا وذاك وواقع سياسي واقتصادي وأمني متأزم منقسم تؤججه صراعات القوى الإقليمية وساحات مكتظة بالمعتصمين بسبب خدمات متعطّلة وفساد مستشر، يبدو الحديث عن تكريم فيروز ترفاً وشعاراً مستهلكاً أقرب إلى ما يردّده الساسة في لقاءاتهم المتلفزة عن حسّهم الوطني وحرصهم على كرامة المواطن، في وقت يعلم الجميع أنهم هم السبب الأول في محنته وشقائه.

لكن ما شأنيّ، وأنا العراقيّ المغترب في آخر الأرض، والمشهد السياسي الراهن في لبنان؟ أليس من الأجدر بي أن أنشغل عوضاً عنه بالوضع الكارثي في العراق بلدي الأمّ؟ ثمّ ما شأني أنا وفيروز؟ الاجابة على السؤال الأخير بالذات هي التي دفعتني لكتابة روايتي الأخيرة «كافيه فيروز» (الدار العربية للعلوم ـ ناشرون) عن مهاجرين عرب يجمعهم صوت السيدة ويمثل لهم مهرباً من واقعهم المتشرذم الذي أفلت فيه قيم كالخير والجمال ووطناً بديلاً عن بلدان اضطروا لمغادرتها بعدما استشرت فيها آفة الصراع القبلي والطائفي.

فيروز بالنسبة إلينا ليست شخصاً، ولعلّها لم تكن يوماً شخصاً. فقد وُلدت حلماً ومشروعاً في رأس مفكر وموسيقيّ شاب هو عاصي الرحباني، ثمّ استقرّت في ما بعد في ضمائر كل من آمنوا بها ووجدانهم، وساهموا في بنيان صرحها العتيد بمن في ذلك رفيق درب عاصي وشريكه في الحلم منصور الرحباني، مروراً بفيلمون وهبي والياس الرحباني وسواهما، وانتهاءً بزياد الرحباني الذي ترك بصمات محببة على جدران الصرح جعلته أكثر ألفة وقرباً من زائريه ومريديه.

أيّ هراء؟ كيف لا تكون فيروز شخصاً وهي تغنّي وتمثّل وتحيي الحفلات والمهرجانات منذ عقود؟ من أين جئتُ بتلك الهلوسات وعلام استندتُ في ادّعائي الخطير هذا؟ لا بأس، فلنحاول معاً فكّ ما يبدو طلسماً. فمثلكم استغربت عندما سمعت السيدة وهي تتحدث في لقاءاتها الإذاعية المعدودة عن فيروز بصيغة الشخص الثالث وتؤكد حرصها على الحفاظ على اسمها وتاريخها. قرأت كذلك حواراً صحافياً قديماً لمنصور الرحباني أكد فيه أنّ إيماءات فيروز الشهيرة على المسرح وحركاتها ولغة جسدها، كلّ ذلك من صنع شقيقه عاصي. وثمة تصريح ثالث لزياد الرحباني قبل سنتين قال فيه أن شخصية والدته في الحياة لا تشبه صورتها على المسرح، إذ تُصاب بعارض المجد بمجرد أن تطأ قدماها خشبته. تضاف إلى هذا وذاك شهادة فيروز المصوّرة في الوثائقي «كانت حكاية» التي تقرّ فيها أن عاصي الرحباني هو من شكّل ملامح شخصيتها الفنية، لا بل حتى الانسانية، وأنها لا تزال تستحضر وجوده معها في كل حفلاتها إذ تفتقد إرشاداته ورعايته.

أذكر أيضاً دهشتي عندما أخبرتني سيدة عراقية كانت قد التقت فيروز في بيروت عن طريق صديقة مشتركة عن بساطتها ومرحها. واستغرابي عند مشاهدة صورتها الاستثنائية وهي تضحك. ففيروز التي عرفناها بالكاد تبتسم، لكنها أبداً لا تضحك. دهشتي تلك ربما تماثل دهشة الكثيرين الذين قرأوا ما باح به زياد الرحباني مؤخراً عن ميول والدته السياسية. فات أولئك أن يتدبروا أن ما وشى به زياد مجرّد قناعات نهاد حداد الخاصة لا فيروز، الإنسانة والمواطنة والأم لا الصرح. قد يفسر ذلك لنا العزلة التي فرضتها السيدة على نفسها وانقطاعها شبه التام عن الظهور في وسائل الاعلام وترفعها عن الردّ عن الإشاعات والإساءات التي تطاولها بين الحين والآخر.

نهاد حداد (ربما بفعل نشأتها الكاثوليكية الملتزمة وأصولها القروية الجبلية) حريصة على مشروع فيروز. لا بل ربما يجوز القول أنها نذرت نفسها له وللحفاظ على بهائه وحياديته والقيم التي يمثلها ويروّج لها. حتى لو اقتضى ذلك منها أن تضع نفسها في صومعة وأن تحرم نفسها من الاستمتاع بحياتها وممارسة أبسط حقوقها كإنسانة طبيعية. وهي على حدّ علمي حالة غير مسبوقة في عالم الفن العربي، لا بل العالمي أيضاً. ولذلك، من المهم في هذه المرحلة أن نتأملها ونحتفي بها ولا أقول نكرّمها، فالتكريم يكون عادة للأشخاص، لكن الاحتفاء يكون بالقيم والمبادئ.

لكن كيف نحتفي بفيروز وأين؟ الأمر محيّر حقيقةً. فقد سمعت عن تحويل البيت الذي أمضت فيه سنوات صباها إلى متحف وهو خبر جميل لكنه ليس ما أعنيه بالضبط. خطر لي قبل سنوات أن أقترح تسمية مطار بيروت باسم فيروز، تحمسّت للأمر كثيراً وقتذاك. فكم رائع أن يكون اسم السيدة أول ما يستقبل به لبنان زوّاره، خصوصاً أنّ في أوروبا سوابق لإطلاق أسماء عظام الموسيقيين على مطاراتها كـ«مطار شوبان» في بولندا، و«موزارت» في النمسا، و«فيردي» في إيطاليا، وحتى «جون لينون» في ليفربول في بريطانيا. لكنني تراجعت عن الكتابة عن الموضوع عندما فكرت في العواقب والحساسيات التي سيثيرها الأمر بعدما حمل المبنى لسنوات اسم رفيق الحريري. أعتقد أن فيروز هي الأخرى كانت سترفض المقترح انسجاماً مع نهجها المعروف في الدعوة إلى الوحدة ونبذ الفُرقة، وهو ما جعلها تمتنع عن إقامة الحفلات في لبنان طوال سنوات الحرب الأهلية الطاحنة، على رغم أنها كانت موجودة فيه ورفضت أن تغادره حتى بعد تعرّض مسكنها لقذيفة.

لكنّ المطار ليس الخيار الوحيد. كم جميل لو أطلق اللبنانيون اسم فيروز على ساحة البرلمان في قلب عاصمتهم. وأقاموا فيها تمثالاً لإحدى شخصيات مسرحياتها كناطورة المفاتيح، أو أيام فخر الدين، عسى أن يلهم ذلك المجتمعين في المبنى فيضعوا انقساماتهم الطائفية والحزبية جانباً ويعملوا من أجل لبنان الذي يفترض أن يكون ولاؤهم وانتماؤهم الأول والأخير له. كم جميل أيضاً لو أطلقت الجامعة العربية اسم فيروز على قاعة الاجتماعات الرئيسة في مبناها القاهريّ فيكون القرار ردّاً على ما يُتهم به العرب غالباً من رجعية وقمع للنساء والأقليات ومصادرة للحقوق واحتقار للفنون. خصوصاً أن السيدة قد غنت في وللكثير من المدن والعواصم، لا بل أنّ سماع صوتها الصادح في الصباحات طقس وقاسم مشترك بين معظم الشعوب العربية.

مقترح ساذج، مغرق في المثالية والرومنسية، منفصل عن تحدّيات الواقع وأولوياته؟ أعتقد أن العكس هو الصحيح، ففي حلكة الظلام الذي يسود حياتنا اليوم وشعور داهم بالعجز واليأس بعدما هاجر أو هُجّر الملايين من أراضيهم، بينما تتوق ملايين أخرى إلى الرحيل وتخطّط له، نحن بأمسّ الحاجة إلى بصيص من الأمل والى ترسيخ قيم الفن الرفيع التي شكّلت ظاهرة فيروز من غناء وموسيقى وشعر ورقص وتمثيل وإخراج مسرحي وسينمائي، توازي ذلك في الأهمية حاجتنا إلى استلهام الدلالية الانسانية للحالة الفيروزية من دعوة إلى المحبة والتحرر والانفتاح على الآخر ومواجهة الطغيان ونبذ الصراعات العرقية والدينية. نحن بحاجة إلى أيقونة تجمعنا كماريان التي انبعثت في خضم الثورة فجمعت الفرنسيين حولها ولا تزال تجمعهم حتى اليوم بما تمثله من قيم نبيلة سامية.

*مهندس معماري ومؤلف عراقي/ نيوزلندي
عضو في اتحاد الكتّاب النيوزلنديين